شعر الحرب في الأدب العربي بين القديم والحديث

الدكتور سالم أحمد الحمداني
استاذ مساعد

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

في القديم

منذ فجر التاريخ واجهت حياة الانسان صراعاً عنيفاً مع الطبيعة، ثم كان ذلك الصراع بعد ذلك بين أمة وأمة ، تأكيداً لمبدأ السيادة وتحقيقاً للأطماع .

ومن هنا فقد كانت الحروب بين أمة وأمة سجالاً متواصلا ينتهي بانتصار الغالب واندحار المغلوب .

وقد حفظ لنا تاريخ الأمم المختلفة صور ذلك الصراع ، وهاتيك الحروب، من ذلك حروب الأثينيين مع الاسبارطيين، على الرغم من أنهم كانوا أبناء أمة واحدة ولغة واحدة أيضا .

وتذكرنا أخبار الحرب الأمريكية ماكان من اقتتال بين أهل الشمال وأهل الجنوب، كذلك يذكر لنا التاريخ الحرب الأهلية للأمة الفرنسية وما كان بين أهل الصين من صراع وأهل اسبانيا من مذابح، وغير هذه وتلك من الأمم والشعوب التي سقط في حروبها الأهلية الآلاف من البشر .

وتنسحب هذه الصورة على اغلب أمم الارض من القديم الى الحديث (فلا تثريب اذن على العرب القدامى أن يقتتلوا ما بينهم أحر قتال، وان تكون الحرب في دارهم سجالاً، وهم الأمة الوحيدة التي عاشت زمناً مديداً مشتغلة بنفسها غنية عن جيرانها) (١) وفي أغلب الأحيان كانت حياة العرب بما فيها من طبيعة صعبة ، وتركيب اجتماعي معين، وعلاقات سياسية تفرضها طبيعة الصحراء ، كما ان المزاج الحاد الذي تميز به العربي وفق منظور فكري معين ، وما انعكس من هذا كله على طبيعة العربي ونفسه ومزاجه وتركيبه، كل ذلك قد انتهى به الى أن يكون على الصورة التي وجدناها تنعكس آثاراً سلبية على العرب ، وانتهى في كثير من الأحيان الى صراع مرير واقتتال رهيب ، امتد أحيانا الى عشرات من السنين .

---

(١) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٧ .

واذا سلمنا بأن حظ الشعر في حياة العرب كان وافراً، وأنه قد عكس هذه الحياة صوراً صادقة، فإن تأثيره لم يكن أقل من ذلك. ومن هنا يمكن القول بأن هذا الشعر قد أسهم في توجيه العلاقات الاجتماعية والسياسية بل وفي الحياة الفكرية . أما تأثيره في تصوير المعارك والحروب فقد كان اكثر بروزاً ووضوحا. بل ان هذا التأثير قد عزز الناحية القتالية لدى الفرد في معاركه ضد أعداء أمته ، وهذا ماحدث في شعر حروب الدولة الاسلامية مع الفرس والروم وفي شعر الحروب الصليبية .

واذا رجعنا إلى ماقيل في العصر الجاهلي، ألفينا انفسنا أمام الكثرة الكاثرة من الشعراء الذين وظفوا شعرهم للمعارك، وماقيل عن الحرب وفي الحرب في هذه الفترة يصعب حصره، بل ان معانيه لتمتد إلى العديد من الموضوعات كالفخر والمدح والهجاء والوصف وغيرها. ويكفي أن حرب داحس والغبراء وحدها قد احتفظت بالعديد من الشعراء الذين تألقوا في الحديث عن الحرب، وتفننوا في وصفها، من أمثال عنترة العبسي وقيس بن زهير والربيع بن زياد وعقيل بن غلفه المري والربيع بن قعنب وعمر وبن الأسلع وغيرهم كثير. وفي عصر صدر الاسلام (انطلق الشعر على ألسنة الفاتحين في العراق مع أول ضربة سيف ، وقد احاط بالمعارك والاحداث إحاطة بحيث يمكن ان يعد وثيقة تاريخية لها خطرها، وهو من حيث تصويره لحياة المجاهدين ومشاعرهم وتصويره لمشاعر المقاومين ايضا، يمكن ان يعد وثيقة وجدانية رائعة، لهذا الحدث الفذ في تاريخ الاسلام والمسلمين) (١) .

ويبدو أن ساحة الوغى مع الفرس قد استأثرت الشعراء واثارت حميتهم وشدت حماسهم و(كانت القادسية المعركة الفاصلة في الفتوح الشرقية، ولم ير المسلمون ولا الفرس وقفة أشد منها هولا...وأبلى ابطال المسلمين فيها بلاء فخروا به، وسجلوه على الدهر في شعرهم . ويبدو ان مقتل كسرى قد استأثر اهتمامهم، من ذلك قول زهير بن عبد شمس وهو ينسب هذا الشرف إلى نفسه·

---

(١) النعمان القاضي: شعر الفتوح الاسلامية ص١٢٧ .

انـا زهير وابن عبد شمس أرديت بالسيف عظـيم الفرس
رستم ذا النـخـوة والدمقـس اطعت ربي وشفيت نفسي (١)

وينسب قيس بن مكشوح إلى نفسه مقتل كسرى فيقول:

وجئـن القادسـية بعد شهر مسوّمة دوابـرها دوامـي
فناهضنا هنالـك جمع كسـرى وابناء المرازبة الكـرام
فلما ان رأيت الخيل صالـت قصدت لموقف الملك الهمام
فأضرب رأسه فـهوى صريعا بسيف لاأفلّ ولاكـهام(٢)

اما العصر الأموي الذي كثرت فيه المنازعات واشتدت الخلافات واستشرى فيه خطر العصبية، وعظم بين أهله شر الصراعات المذهبية والقبلية ، فقد امتلأت دواوينه بشعر الحرب ، سواء ماصور منه المعارك التي جرت بين المسلمين انفسهم او ماصور حروب المسلمين مع أعدائهم من الفرس وخصومهم من الروم ، ويبدو لنا ان المنازعات السياسية قد أثرت تأثيراً شديداً في حياتهم الحربية، وانعكست احياناشعراًيطفح بالحماسة،ويعبرعن الاعتزاز بالقوة والبطش. من ذلك قول زفربن الحارث الشاعر الكلابي يتوعد المروانيين في حرب مرج راهط ويتوعدهم للثأر:

أريني سلاحي لاأبالك انـنـي ارى الحرب لاتزداد الاّتماديا

• • •

اتذهب كلب لم تنلها رمـاحنا وتترك قتلى راهط هي ماهيا
فلا صلح حتّى تشحط الخيل بالقنا وتثأر من نسوان كلب نسائيا (٣)

والحق ان عصر بني أمية قد امتلأ (بكبريات الخطوب ... حتّى نجمت فترة يسيطر عليها شبح الحرب .... وندر ان ضرب التاريخ مثلا بشدة الحروب وانصباب الدم الزكي كالذي ضرب في عصر الامويين وماقبله) (٤) .

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٥٩ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٢٦٠ .
(٣) زكي المحاسني : شعر الحرب ص ٤٧ .
(٤) المصدر نفسه ص٥٥ .

ويكفي أن تكون حرب الجمل وحرب صفين دليلا على ضرام المعارك الهائلة التي سقط في سوحها المئات من الصحابة والتابعين، حتى قال قائلهم في أولها :

شهدت الحروب وشيبنني فلم ترعيني كيوم الجمل

وعلى امتداد هذه الحروب وهاتيك الفتن يتوزع الشعراء لينطقوا شعراً حربيا يثير حماس المقاتلين، ويؤلب قلوب المختلفين ،ويجسد عواطف المتحمسين، مشاعر تقطر حقدا حيناً، وثورة عارمة أحيانا ، لاينتهي الاّ بنزف الدم، ولاتقف الاّ وقد تناثرت أشلاء القتلى في سوح المعارك .

ويكفي دليلا على هذا القول بأنه قد كان لكل فئة من الفئات المختلفة على عهد بني أمية شعراء كثر امتلأت دواوينهم بشعر الحرب ؛ فقد كان للخوارج شعراء وللشيعة شعراء وللزبيريين شعراء وللأمويين أنفسهم شعراء قالوا كلهم شعرا في وصف المعارك وصفا دقيقا ينم عن الصدق في أغلب الأحيان .. ولعل من اشهر ماصدر عن شعراء الخوارج قصيدة قطري بن الفجاءة التي يقول فيها :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعي

• • •

فصبرا في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع

سبيل الموت غاية كل حي فداعيه لأهل الموت داع (١)

واذا كان الخوارج وشعراؤهم قد ثاروا في سلوكهم ثورة دينية ،فقد رفدت هذه الثورة (شجاعة خارقة وبطولات جبارة نادرة كان حاديها اشعارهم الحربية وكأنهم كتبوها على شفار السيوف التي كانوا يكسرون جفانها ثم يصممون بها في هجمات الحروب) (٢).

وقد جسد شعراء الشيعة والزبيريين الشجاعات النادرة، والمواقف البطولية التي ابدوها في حروبهم ،والتي أكدت صمودهم وتضحياتهم، ولعل قصائدهم

(١) عمر فروخ : تاريخ الادب العربي ٤٥٩/١ .

(٢) زكي المحاسني : شعر الحرب ص ٧٣ .

في ذلك تقف في قمة الوصف الحربي الذي تركه شعراء عصر بني أمية .
اماشعر ابن قيس الرقيات فإنه يفيض بالحماسة النادرة التي جسدت الوقفة الشجاعة لعبد الله بن الزبير وصحبه .

وقد كان لبني أمية شعراء ناصبوا خصومهم العداء ، وتحدثوا في قصائدهم الحماسية عن شجاعة الأمويين وعن مواقفهم البطولية وهم شعراء كثر من أمثال أعشى ربيعة وأعشى همدان وأعشى تغلب والأخطل الصغير وكعب الأشقري الذي عده بعض الدارسين من خيرة الشعراء الذين أرسلوا قصائدهم الحماسية في خدمة الأمويين .

وإذا كان ماقدمنا يمثل الشعر الذي يصور حروب المسلمين فيما بينهم ويجسد خصوماتهم مع بعضهم البعض ، فإن ديوان الشعر العربي قد احتفظ لنا بما هو أكثر عدداً وأعمق صدقاً وأنبل شعوراً وأشد عاطفة ؛ إنه شعر الحرب ووصف المعارك التي خاضها العرب والمسلمون ضد أعدائهم من الفرس والروم وغيرهم . (فحين توجه سعيد بن عمرو الحرشي إلى بلاد الصفد وفرغانه ، قاد جيوش المسلمين وخطبهم ..) (١) وأنشأ يصف بطولته بشعره ويشد عضده بفخر الأهل والقبيلة فيقول :

فلست لعامر إن لم تروني أمام الخيل أطعن بالعوالي
واضرب هامة الجبار منهم بعضب الحد حودث بالصقال
فما أنا في الحروب بمستكين ولا أخشى مصاولة الرجال (٢)

ويصف النابغة الشيباني حصار الأمويين لمدينة رومية ، وضربهم لأهلها فيقول :

حتى علوا سورها من كل ناحية وحان من كان فيها فهو ملهوف
فأهلها بين مقتول ومستلب ومنهم موثق في القد مكتوف (٣)

وهو تصوير أدبي يعكس صورة حية لتجربة الشاعر .

---

(١) زكي المحاسني : شعر الحرب ص١٢٥ .
(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ١٦٩/٨ .
(٣) ديوانه : ص٥١ .

فإذا انتقلنا إلى العصر العباسي ، وجدنا شعره يزحف إلى كل جهة مع من زحف إلى سوح المعارك . ولا شك ان شعر العديد من شعراء هذه الفترة قد واكب الفتوحات الإسلامية ، وجسد ملاحم البطولات ، وتغنى مع كل انتصار ، حتى وجدنا بعض القصائد تخلد أصحابها كما هو الحال في قصيدة أبي تمام لدى فتح عمورية . وكان أبو تمام واحداً من كثيرين جعلوا من هذا اللون من الشعر سجلاً لبطولات الفاتحين . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد جاءت بعض القصائد تاريخاً للعديد من الحروب الداخلية ، وتصويراً للمواقف البطولية التي قضت على الفتن الداخلية ، فجاءت تصور الأحداث الكبار ، وتجسد اندفاع الجند الذين أوقفوا زحف الشعوبية وخطرها ضد الدولة العباسية ، ولعل قصيدة أبي تمام التي وصف فيها هزيمة بابك الخرمي أمام زحف جيش الأفشين تقف في موقع القمة بين تلك القصائد ، وهو في هذه الأبيات يصفه هارباً يلوذ بالفرار أمام أسود جيش الأفشين فيقول :

أسرى بنو الإسلام فيه ودلجوا بقلوب أسد في صدور رجال
لما رآهم (بابك) دون المنى هجر الغواية بعد طول ضلال(١)

أما باثيته التي صارت علماً في ميدان الشعر ، فقد أرخت أروع صفحة من صفحات الفتوح الإسلامية ضد أعتى دولة على ذلك العهد ، وفي هذه القصيدة تتجسد النخوة العربية مع العقيدة الإسلامية لتجعل من فتح عمورية رمزاً للفتوة والحماسة :

الحرب قائمة من مأزق لجب تجثوا الرجال به صفرا على الركب
كم كان من قطع أسباب الرقاب بها إلى (المخدرة العذراء) من سبب (٢)

وكان البحتري ممن عنوا بوصف الحرب عناية فائقة ، وكيف لا وهو شاعر الخيال البارع ، وميزته في هذا اللون من الوصف ان قصائده امتدت إلى وصف معارك البحر . وله فيها قصائد مليحة يمكن الرجوع اليها في ديوانه

(١) شرح الصولي لديوان ابي تمام ٢٠٩/٢ .
(٢) شرح الصولي لديوا ابي تمام ص٢٠٥/١ .

وماذا عن سيف الدولة في حروبه مع الروم ، وماذا عن شاعر الفروسية ابي الطيب ! ! لقد أرخت قصائد المتنبي أغلب حروب سيف الدولة ، وجسدت بطولاته ، وصورت فلول المنهزمين أمام جحافله المنتصرة ، فجاءت لوحات فنية ليست من وحي خياله ، بل هي من نتاج مشاهداته وتجاربه الحية ، ولذلك طفحت بالصدق الفني والصدق الشعوري . ومن هذه القصائد ميميته التي استوحاها من احدى المعارك التي سحق فيها سيف الدولة جيشاً رومياً وأسر من جنوده سبعة آلاف وكان جيشه فيها (يطاول الأرض بطوله وجسامته فلا هو ينتهي ولا هي تنتهي ، وفي هذا الجيش خيول ضوامر تلوح شكائمها الحرى وقد عدت بفوارسها حتى تغمرت من بحيرة (سمنين) فجعلت أفواهها تنش بالماء وتغمر فيه اللجم :

فلم تتم سروج فتح ناظرها إلاّ وجيشك في جفنيه مزدحم
والنقع يأخذ (حرانا) وبقعتها والشمس تسفر أحياناً وتلتثم
سحب تمر (بحصن الران) ممسكة وما بها البخل لولا أنها نقم
جيش كأنك في أرض تطاوله فالأرض لاأمم والجيش لاأمم (١)

وقصائد أبي الطيب في وصف فروسية سيف الدولة كثيرة ، وتصويره لانتصاراته أكثر ، بل أن قصائد الشاعر وفخره بفروسيته وفتوته أشهر من أن يشار اليها ، ويكفي أن العديد منها صار علماً في ميدان الشعر ، بل يكفي دليلاً على ذلك أن يكون أبو الطيب هو القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم

وليس من حق أي دارس في هذا الموضوع أن ينسى روميات أبي فراس التي جسدت فروسيته وأرخت لفترة من أغنى فترات الصراع والحروب بين المسلمين والروم ، أليس هو القائل :

لقيت نجوم الأفق وهي صوارم وخضت سواد الليل وهي خيول

(ولو أن أبا فراس كتب تاريخ حياته في حربه لما زاد على البيتين الآتيين

(١) زكي المحاسني : شعر الحرب ص٢٨٥.

اللذين يصف فيهما هذه الحياة التي كثرت فيها الغارات وركوب المطايا بعد كسر أعدائه في كل البلاد :

جمعت سيوف الهند من كل بلدة ... واعددت للهيجاء كل مجالد
وأكثرت للغارات عندي وعندهم ... مئات البكيريات حول المراود(١)

وقد خلفت لنا الحروب الصليبية قدراً كبيراً من شعر الحماسة والحرب ، خصوصاً على عهد عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي ، واتسم شعر تلك الفترة بشدة الحماس لاعادة بيت المقدس إلى حظيرة المسلمين .

من ذلك قول العماد الاصفهاني يحرض صلاح الدين على فتح القدس :

فما هو الا أن تهم وقد أتت ... فتوح كما فاض الخضم الذي طما
وان أنت لم ترد الفرنج بوقعة ... فمن ذا الذي يقوى لبنيانها هدما
وما كل حين تمكن المرء فرصة ... ولا كل حال أمكنت تقتضي غنما
وليس كفتح القدس منية قادر ... وما أن تلقاها سوى يوسف جزما(٢)

هذا عن القديم فماذا عن الحديث ؟ !

في الحديث :

وفي العصر الحديث واجهت الأمة العربية تحدياً صعباً من اعدائها وخصومها ولكنها لم تستسلم للاطماع الاستعمارية التي استهدفتها في كرامتها ووجودها وكان ثمن هذا الموقف أنها دفعت ولاتزال ثمناً باهظاً من أجل الحفاظ على عزتها ، وشرفها. وقد واجه العرب ــ ولا يزالون ــ العديد من الدسائس في كل قطعة ارض يمتلكونها ، ومن هنا كانت ثوراتهم في العراق ومصر والجزائر بل وفي كل قطر ، اما في ارضنا المحتلة في فلسطين فلا يزال ابناؤنا يتحدون الوضع الشاذ الذي فرضه عليهم الاستعمار والصهيونية .

وقد واكب الشعر العربي الحديث كل هذه الثورات وأسهم في رفدها اسهاماً مشرفاً وكان عطاؤه فيها غزيراً ولا يزال .

---

(١) المصدر نفسه ص٣١١.

(٢) محمد سيد كيلاني: الحروب الصليبية ص ٢٣٥.

واذا سلّمنا بأن الشعر العربي في عصوره المتقدمة كان اداة فاعلة في تجسيد أماني المقاتلين ، وأنه قد صور حياة العرب الحربية ، فإن شعرنا الحديث صار وثيقة لحياتنا السياسية واوضاعنا النفسية ، وتعبيراً عن شجاعة ابطالنا وتجسيداً لأمانينا في التحرر والانطلاق ، والتخلص من كل ما يقدح بكرامتنا ، وينال من عزتنا ويستهدفنا في حاضرنا ويتآمر على مستقبل اجيالنا المقبلة ؛ فحين قامت ثورة العشرين في العراق وقف الشاعر العراقي يقاتل الانكليز ، وكانت قصائده كالحمم الحارقة تندفع في تأليب الثوار وتثير حماسهم وتجسد بطولاتهم :

عشقنا المنـون وهمنـا بهـا وعـفنا أباطعنـا والحجـونا

• • • •

وسرب المناطيد مـلء الفضاء يصب القنابل غثـاً هتونـا
وقذف المدافع بيـن الجمـوع يهـد معالمـها والحصونا
ورمي البنادق رشـاشـة يحطم مجتمع الدارعينـا (١)

بهذه الابيات يصف محمد جواد الجزائري الحرب التي وقعت بين الثوار العراقيين وبين الانكليز . ولاشك انها صورة حية لما حدث في هذه الوقعة . ولم يكن هذا الشعر في موقفه من ثورة ١٩٤١ أضعف من موقفه من ثورة العشرين ، ولعل الرصافي كـان في مقدمة الشعراء الذين اشادوا بهذه الحركة وباركوا فرسانها وشدوا على أيدي قادتها ورجالها .

وحين ضربت مدينة بورسعيد سنة ١٩٥٦ من الانكليز كان الشاعر العربي في كل مكان يهتز لهذا الحدث ويدافع عن ثورة مصر ويعلن عن استنكاره في العدوان على شعبه ويؤيد حقه في تقرير مصيره .

وقد تركت ثورة الجزائر قصائد كثيرة من الشعر الحماسي والوطني والقومي تتغنى كلها بهذه الثورة وتبارك جيشها وتستنكر اعتداء الفرنسيين على ارضها واهلها وتصف معارك الشرف التي جسدت تصميم شعبها على تحرير بلادهم من المعتدين وتأكيد حقهم في أن يعيشوا بسلام محتفظين بحريتهم وكرامتهم

(١) جعفر محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ص٢٥٤ .

وعزمهم . وقد هبّ كل شاعر على أرض العرب ليسهم بفنه في ميدان الشرف ومعركة البطولة الغادرة :

ياهضاب الفداء إنا زحفنا فافرشي الدرب بالشذى واللآلي
دمنا يلتوي على عنق البغي لهيباً في زحمة الأهوال
وشرايينا مسيل من الثارا ت تنصب فيه كالشلال
وجراحاتنا النديات إكليل نوشي به جبين الرمال (١)

هكذا عبر الشاعر محمود البستاني عن معركة الشرف ومعركة الفداء . أما أرضنا المحتلة في فلسطين فقد أمدت شعراءنا العرب بالموضوعات الخصبة والأفكار الناضجة والمعاني الإنسانية المختلفة ، كما أنها الهمت الشاعر العربي حساً وطنياً وقومياً عميقاً ، وربطته بأرضه بالحب والتقديس ، ومنحته القدرة على أن يرتفع بشعره عن حب الذات إلى التضحية والفداء .

ولقد استطاع الشاعر العربي الحديث بعامة والفلسطيني بخاصة أن ينفذ إلى أجواء المعارك فيجسد الروح النضالية والأفكار الإنسانية للمقاتلين . كما صور تلك المعارك تصويراً واقعياً حياً فتحدث عن البطولات الفذة والمواقف النادرة الصعبة للمقاتل الفلسطيني ، وجسد روحه القومي وعبر عن أمانيه الواسعة ، وعن حبه للموت ورفضه للحياة التي تختلط بالذل والعار . ولعل أبيات محمود درويش التي يؤكد فيها هذه التضحية تأكيداً يمتلىء بالأفكار الجديدة والعمق الثوري والصور الفنية الناضجة لدليل على ان معركتنا في فلسطين قد أمددت شاعرنا الحديث بالطاقات الغنية كما امدته بروح ثورية جديدة :

أطعمت للريح أبياتي وزخرفها إن لم تكن كسيوف النار قافيتي
آمنت بالحرب إما ميتاً عدما أو ناصباً لعدوي حبل مشنقتي
آمنت بالحرف ناراً لايضير إذا كنت الرماد أنا أوكان طاغيتي
فإن سقطت وكفي رافع علمي سيكتب الناس فوق القبر لم يمت(٢)

(١) الجزائر المجاهدة : الرابطة الادبية ص٩٥.
(٢) ديوانه : ص ١٣٨.

وقصائد الحماسة والمعارك لم تقتصر على ماذكرنا وحسب فإن المعارك التي تخوضها الأمة العربية من أجل الحرية والتحرير والبناء قد أمدت شعرنا الحديث ـ كما ذكرناه ـ بالافكار الجديدة والمعاني المختلفة والموضوعات المتعددة . وان كل معركة جديدة صارت رافداً يمد شعراءنا بوافر العطاء ، بل ان هذا الرافد قد دفع احيانا بالمعدن الجديد ومهد له طريق الظهور ، وكشف عن طاقات غنية بالفن كما هي غنية بالحس الوطني والوعي القومي .وقد استطاعت الحرب العراقية الايرانية ان تقدم هذا النموذج الذي المحنا اليه ، فقد كشفت حربنا هذه عن طاقات جديدة واقلام شابة جديرة بالتقدير ، وامدت شعرنا العربي الحديث والعراقي منه بخاصة بالمعاني الجديدة والافكار القومية الناضجة والوطنية المخلصة .

وموضوع هذه الحرب قد انتهى الى مجموعة من المعاني أهمها : استلهام التاريخ والفخر ببطولات جيشنا والوقوف مع قائده وتأييد مواقفه ، والتهكم بالعدو ورفض اعتداءاته ، والدعوة الى الوحدة العربية ثم وصف المعارك التي يخوضها جيشنا وصفاً أدبياً يموج بالحركة الدائبة ويمتلىء بالحيوية النابضة .

أما استلهام التاريخ ، فقد استأثر اعجاب شعرائنا ، إذ عاد بهم الى مواقف البطولة النادرة ، وذكرهم بالاعمال الفذة التي حققت النصر لجحافلنا المنتصرة منذ حرب ذي قار الى أيام اليرموك والقادسية وعموريا وغيرها من الانتصارات التي الهمت أحفاد سعد والمثنى وخالد والقعقاع وغيرهم روح التحدي والثبات والنصر. والحق أن ما من شاعر من شعرائنا الا وكان لهذا المعنى في شعره قصب السبق ، ذلك لأن التغني بتاريخ الأمجاد والبطولات هو القاعدة الصلبة ، والخلفية المتينة التي تمنح القدرة لجحافلنا المنتصرة ، على أن تستلهم من تاريخ الابطال صور البطولات التي حققت الظفر تلو الظفر .

وقد اتخذ استلهام التاريخ لدى اغلب شعرائنا اسلوب الفخر للتأكيد على نصاعة ذلك التاريخ وصوره الدافقة بالحيوية والانسانية والمثل الرائعة ، وقد المح الى هذه المثل الشاعر شفيق الكمالي بقوله :

عـرب نحن أودعوا الخلد نوراً سرمديا كأمتـي لا يزول

والى خصالها الحميدة ، والى ان ارضها نبع للرسالات الخالدة :

والرسالات نبعها من ثرانا والينا غـر الخصـال تـؤول

وأكد على العلاقة بين العرب وبين الإسلام ، وذكر أنهم أهل للرسول وأصحاب دينه وكتابه :

نحن أهل الرسول والدين منا والينـا التنزيـل والتأويـل

وقارن بين أصالتنا في الشريعة والدين ، وادعاء خصومنا في ذلك :

نحن للدين وللشـريعـة أصـل وسوانا هو اللصيق الدخيل (١)

ولا شك أنها معان يستهدف فيها قطع الطريق على الذين يستغلون الدين في هذه المعركة .

ويفخر عبد الرزاق عبد الواحد بقيادة القعقاع وشهامة القيسيين وجود حاتم ورجولة بني شيبان وبطولة علي فيقول :

ياوريث القعقاع إنا ورثنا أهـله .. خير إرثنا الأخلاق

• • • •

فلنا منهمو مروءة قيـس كـلما اطبقـت وضاق الخناق

ولنا منهمو رجولـة شيبـان إذ حـان للسيوف اعتنـاق

ولنا جود حاتم وانتفاضات علي وسيفـه السبـاق (٢)

ويشدد الشاعر علي الحلي على عنصري البطولة والشجاعة فيفخر بقيادات المثنى وعلي وخالد وصلاح والقعقاع وسعد وغيرهم من قادة الفتوحات التي اندفع فيها المسلمون ليدكوا عروش الشرك والعناد والفساد ، فيقول :

أنت تشقى ؟! ومن بنيك المثنى يشعل الرسل زحفـه المشاء !

وعلي ... وخالـد ... وصلاح فتية الحرب يصطفيها الفـداء

(١) مجلة آفاق عربية : العدد ٢٠١ السنة السادسة ١٩٨١ ص ١٨١ – ١٨٣.

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٣.

كيف نرتد؟ الف قعقاع يحدو موكب الزحف والسرايا مضاء
كيف تشقى ؟ والف سعد تمنى في حمانا لو يبعث الآباء

كما يذكر بالمعارك التي حسمت بين الحق والباطل وبين الايمان والكفر فيذكر منها اليرموك والقادسية :

وهضاب اليرموك شوقاً وبشرى ومن القادسية .. الكبرياء !

ويؤكد على ذات المعاني التي اشار اليها شفيق الكمالي وغيره من الشعراء فيعتز بما كان من سبقنا في دخول الاسلام ، ولا يحدد هنا عنصر الانتماء، فمفهوم العروبة والإسلام يكاد يكون واحداً ، ومن هنا لم يخص مفهوماً بعينه ، ومن هنا يعتز الشاعر بما كان لنا في مأرب والقدس وتبوك وزمزم وحراء ، وكلها توحي إلى صلة امتنا بالإسلام :

والرسالات في الجزيرة ضوّت وعلى سهلها التقى الأنبياء
ولنا مأرب ومحراب عيسى وتبوك وزمزم .. وحراء
وحمى الدين نحن كناه بدءً ومن العدل شادت الخلفاء (١)

ولا شك أن آفاق الماضي بعيدة ، وأن صوره المضيئة عديدة ممتدة ، ولا شك أيضاً أن شعراءنا قد امتدوا بنظرهم إلى كل تلك الآفاق ، فأشاروا ، إليها وفخروا بكل مافيها ، إلاّ أن الملاحظ انهم قد شددوا على مناحي البطولة والفداء ، فذكروا الفتوحات وسموا أبطالها ، وأشاروا إلى المعارك وفرسانها وهو أمر طبيعي تتطلبه ظروف المعركة ، وما يحتاجه من صور الفداء والتضحية والبطوله والإقدام . وهذا هو الشاعر محمود المعروف يضرب على الوتر نفسه فيقول :

عاد المثنى على رايات شيبانا وخالد العرب يغزو الكفر نشوانا
وانثال موكب سعد في تدفقه يدك للبغي اوتاداً واركانا
مني الفتوح تجلى أينما وثبت كتائب النصر اشياخاً وفتيانا (٢)

---

(١) المرجع السابق ص١٤٥ .
(٢) جريدة الجمهورية ١٩٨١/٤/٥٤ .

ويلاحظ أن الشاعر قد أشار إلى دك معاقل الظلم في حديثه عن انتصار سعد ، وهو ربط يلمح به إلى تشابه الأحداث في معركتنا الراهنة . أما الشاعر عبد المحسن عقراوي فيذكر الفرس بما كان من اندحارهم على ايدي العرب في كل المعارك ، فيشير إلى السموءل والمثنى ويزيد بن مزيد الشيباني ، وأبي محجن الثقفي وغيرهم من الأسماء التي تألقت في سوح معارك العزة والشرف فيقول :

أمة العرب قد عرفتم بلاهـا في سعير الوغى بني ساسان
أنسيتم سمـوءلاً ... والمثنى ويزيد بن مزيد الشيبانـي
وأبا محجن يجول خلال الصف ليثاً يزجى بكم للهوان (١)

وليس من شك في أن قصائد الشعراء هذه قد استطاعت أن تستعرض تاريخ العرب والمسلمين ، وما كان من شأن أيامه الناصعة ، وفتوحاته الممتدة ، ومعاركه الشريفة المنتصرة ، وهو تاريخ حافل بالبطولات ، ممتلىء بالمثل والصور النادرة في الشجاعة والفداء . ولا شك أن الضرب على هذه المعاني قد استهدف تذكير أمتنا واستفزها في ذاتها لترتفع في معركتها إلى ما ارتفعت به قديماً ولتتخذ من أبطالنا وأيامنا وفتوحاتنا وعزتنا وكرامتنا عبرة للأحفاد، فتشحذ منهم الهمم ، وتستنهض بهم العزائم ، وتؤكد على أن عنصر الأصالة يمكن أن يكون حافزاً ودافعاً لاستعادة المجد المؤثل .

ولا بد أن العشرات من الشعراء قد ضربوا على هذه المعاني ، واتخذوا منها سبباً لاستنهاض العزائم ورفع الهمم . ويكون التحريض على القتال واحداً من المعاني الجديدة التي امتدت اليها قصائد شعرائنا في الحديث عن هذه المعركة. والتحريض هنا لايعني التشجيع على الانتقام والسعي إلى إذكاء الإقتتال والحث عليه والاندفاع في سبيله ؛ فلا شك أن الذي يدفع اليه اشتداد العواطف المتدفقة والمشاعر الوطنية الحارة بعد أن تستنفد كل الوسائل التي تدعو إلى التعقل والتريث واستخدام الحكمة والصبر في حل الأمور الصعبة .

(١) جريدة الثورة ١٩٨١/٢/١٧ .

وقد أشار إلى هذا ، العديد من الشعراء الذين برروا هذا التحريض ،وفي هذا المعنى يقول شفيق الكمالي :

ما تريد الدمى ؟ صبرنا وقلنا خـرف خائب وغر جهـــول
غير أن الضغائن السود أعمت بصر القـوم فاستثيرت ذحـول
تـعب الصبر فانتفضنا غضابا رجـم الله وقدها سجيـل (١)

وفي قصيدة أخرى يشير شفيق الكمالي إلى استنفاد الصبر فيقول :

لقد صبرنا على بغي العدا زمنا باسم الجوار فما أجدى ولافهما

وفي هذا المعنى التفاتة جيدة لتبرير الاتجاه إلى القوة في الدفاع عن النفس ، ذلك أن السكوت ــ كما يقول شفيق الكمالي ــ يصبح مذلة وهوانا بعد استنفاد كل وسائل السلم والتعقل ، وحينئذٍ لايكون السكوت على العدوان صبراً وتعقلاً وانما يصبح مذلة ــ كما ذكرنا ــ بل إن الركون إلى السيف في هذه الحالة هو الصدق بعينه ، كما يقول شفيق الكمالي :

الحـق بالسيف قول صادق ابداً وما عداه هراء يـورث النـدما

ومن هنا يكون تعليل استخدام القوة معادلا موضوعيا لاستعادة الحق المغصوب :

اركن الى السيف واجعل حده حكما فليس كالسيف للحق الذي هضما

ومن هنا يجيء تحريض الشاعر على القتال :

فاضرب فديت كما قالت اوائلنا يوماً بأن ضعيفا نال ماحرما (٢)

ولا شك ان هذا المعنى قديم ولكنه لايزال يحيا في عصرنا الحاضر ،وليس من شك ايضا ان كل احداث العدوان على الشعوب تؤكد هذه الحقيقة ، ومن هنا يجيء هذا التحريض مبرراً بالمنطق والواقع. وقد التفت اغلب الشعراء الى هذا المعنى وعالجوه بالمنطق حينا وبالعواطف الحارة والمشاعر الدافقة احيانا أخرى، ولكن تبقى القوة أقوى صفاته ، سواء أدل على ذلك أسلوبه ، أم مفرداته ولغته، ومن هنا جاء اسلوبه في أغلب الاحيان على صيغة الأمر من

(١) مجلة آفاق عربية المصدر السابق ص ١٨٢ .
(٢) جريدة الثورة ٢/٩/١٩٨١ .

مثل (اضرب ، اسق ، شدّي ، تقدم ، مزق ، مر ، كبر ، اهتف ، صبي خطي) والعديد من أفعال الأمر التي لا مجال لذكرها هنا .

ومن ذلك قول الشاعر صاحب خليل ابراهيم في تحريضه على قتال الفرس:

شدّي العزيمة يا بغداد واتقدي ناراً على شفة التاريخ تضطرم
شدّي فهذا أوان الحسم يصنعه شعب الذرى عانقت امجاده القمم
[illegible] تضاء من نورك الافلاك والسنم (١)

ويلاحظ ان مفهوم القوة هو الذي يسيطر على الابيات كلها .

وهذه ابيات الشاعر لؤي حقي حسين تستخدم فعلا آخر هو (مر) فتحتشد أبياته بالمفردات القوية من مثل (الجراح والارواح واللظى والقواحم والفواجع والرعد والغيظ والصوارع والوقائع)

مرينا تلبيك الجراح حواردا وارواحنا قبل الرماح شوارع
مرينا مرينا نملأ الأرض باللظى نفجعها حتى تملّ الفواجع
مرينا مرينا فالسماء بأمرنا سترعد غيظاً والجبال صوارع
مرينا فإنا كفء كل عظيمة كوافلنا أفعالنا والوقائع (٢)

وإذا كان يلاحظ قوة الألفاظ والعبارات في هذا المعنى ، فإن ظاهرة التكرار هي الأخرى من أميز مايميز قصائد هذا الاتجاه ، وهو دليل حرارة العواطف وتدفق المشاعر الذي دفع اليهما قسوة المعارك الدامية بين الجيشين المتحاربين . والحق أن هذه الظواهر الفنية تتكرر تماماً لدى كل قصائد الشعراء الذين عالجوا هذا المعنى ، ومن ذلك أيضاً قول الشاعر صاحب خليل ابراهيم :

تقحم .. ومزق حجاب الظلام ودك الحصون .. وعرش العدا
تقحم .. وشق اللحود لباغ وصب اللهيب .. ولب الندا

* * *

(١) المصدر نفسه ٩٨١/١٠/١٠ .
(٢) جريدة الثورة ٩٨٠/١٠/١٥ .

تقدم فمنك شموس المنى هدير الزمان بريق الندى
تقدم ليورق نصر العراق ويعشب زهوا بساح الفدا (١)

ويبدو أن فعل الأمر قد صار لازماً من لوازم قصيدة التحريض على الحرب ، كما أن بناء القصيدة قد اتخذ مساراً قوياً لانجد له مثيلا لدى كل معاني هذا الغرض ، شأنه في ذلك شأن شعر الحماسة والفتوح ، بل لعله قد فاته في عنف العواطف وحرارة المشاعر ، بسبب عنت الخصم وركوب رأسه وعدم رضوخه لمنطق العقل . ومن هنا يبدو — في الظاهر على الأقل — أنه تسوده روح الانتقام والحقد ، والحال ليس كذلك ، لأن هذه العواطف ، وتلك المشاعر انما هي نتيجة حتمية ، ورد فعل منطقي على مواقف الخصم ، في التعنت والمضي في طريق القتال . ومن هنا غلب على اسلوب قصيدة التحريض فخامة العبارة وجلجلة اللفظة ، وقوة التركيب :

كليهم وذري هشيم العظام على أرضهم قبل أن تؤكلي
وصبّي اللهيب لهيب الصمود على الحقل والدرب والمنزل (٢)

هكذا نجد تعبير الشاعر محمد حسين آل ياسين ، وهو يحرض على تحطيم العدو وحرق حقوله وتحطيم منازله وتخريب دروبه ...انها كما قلنا الرد الحاسم على غطرسة الخصم وعناده ، وعدم استجابته لمنطق العقل.

وقد تميزت أبيات جبار الكواز بتكرار فعل الأمر (كبر واضرب) عشرات المرات ، كما تميزت باتقاد العاطفة وتدفق الشعور وصارت الفاظها وعبارتها هديراً صاخبا :

سطر ملاحمنا الجديدة بالفداء
اضرب فيومك ديمة تهب الوفاء
كبر وكن للفتح قارعة الفتيل
واحرق كتائب رستم يا شر حبيل
واقطع لسانهم بصارمك الصقيل (٣)

(١) المصدر نفسه ١٠/٢٠ ٩٨٠.
(٢) جريدة الجمهورية ٩٨٠/٩/٣٠.
(٣) جريدة الثورة ٩٨٠/٨/١١.

ولم تقتصر حرارة العواطف وقوة المشاعر ومارأينا من اندفاع التحريض على سحق العدو وكسر شوكته ، على شعرائنا الشباب وحسب، وانما امتدت إلى جيل من الشعراء القدامى ايضا، فهذا هو الشاعر محمد بهجة الأثري يحرض هو الآخر على سحق العدو والانتقام منه فيقول :

ياجيش أنزل ضربتين بضربة ان اللئام دواؤها الايلام
مرغ انوفهم فإن معاطساً باللؤم تعطس طبهن رغام
أوجع وأوجع ثم أوجع قلما صحت العقول وصحت الافهام (١)

ومن ظواهر قصيدة التحريض ملاءمتها لموسيقى بحر الرجز ، ولذلك جاءت اكثر اراجيز الشعراء في التحريض على قتال العدو ، ولعل اراجيز الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد تقف في موقع القمة في هذا الموضوع ، ومن ذلك قوله :

لبيك ياغضب
لبيك ياغضب
لبيك يانار الوغى فكلنا حطب
لبيك كلنا دم به سنحتطب
لبيك ياغضب
ياقادسية اشهدي بأننا عطب
وان رأس رستم بنا سيحتطب (٢)

ومن أقوى ماجاء في التحريض ، قصيدة الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ، وهي طويلة جاءت كلها بهذا المعنى ، حتى لقد جعل عنوانها (هذا مسيل دم العراق) ، وفي القصيدة كل الظواهر الفنية التي تتميز بها قصيدة التحريض من تكرار للافعال وقوة في الالفاظ ، ومتانة في التعبير ويبدأها بأقوى مايدل على الدعوة لاشعال نار الحرب فيقول :

---

(١) المصدر نفسه ١٢/١٠/٩٨٠ .
(٢) جريدة الثورة ١٢/١٠/٩٨٠ .

أوقـــد فقد دجت الليالي وتعثرت هممـــم الـــرجال
أوقـــد فإن نـــذير عا صفـــة يهمهـــم في الدوالي

• • • •

هـذا مسيل دم العراقيين ياعطش ... الـــرجـــال
يـامرحبـا بسهـام عمي مرحباً بسهام خـــــالي
يـامرحبا بلـــك تـــزرعين ظهور أهلـــك بالنبـــال (١)

وفي القصيدة يتكرر الفعل (أوقد) ثلاث عشرة مرة ، بينما تتكرر كلمة (صبرا) سبع مرات ، ويجيء حرف النداء فيها اربعة مرات ، وهكذا بينما يقوم بناء القصيدة على الفاظ القوة ، وما يدل منها على الوعيد والانتقام والتحريض والموت ويكثر القسم في ابيات الشاعر هشام عودة ، وتكرار فعل الامر في قصيدة غزاي درع الطائي وقصيدة عبد الامير شلاش وغيرهم (٢) ومن معاني شعر هذه الحرب ، التوجه إلى الجيش بتحريضه على مقاتلة العدو ودحره ، وتقدير مواقف أبطاله ، وتهنئته بانتصاراته واندفاعه ، والفخر بمواقفه ، وغير هذه وتلك من المعاني التي تتفق مع وظيفته وطبيعته ،من ذلك قصيدة الشاعر منذر الجبوري التي يفخر فيها بجيش العراق لوفائه وكريم مواقفه ، ويتوجه بحبه اليه ويبتهل إلى الله لينصره على الاعداء :

يابجيش العراق أي وفـاء حملتـه اليك كـف الوفـاء

• • • •

يامعيداً لأمـة العرب شـوطاً يتناهى إلى الذرى العليـــاء
يـا ضميـر التاريخ يادرب مجد علم الاكرمين معنى العطاء
إنه موعـد الوفا فاستبقه إنما أنـت موعـد الاوفياء (٣)

ويلاحظ ان الشاعر قد كرر صنعة الوفاء اكثر من مرة ، وهو مايتلاءم مع وفاء الجيش لأمته وشعبه .

---

(١) المرجع نفسه ٢٢/١٠/٩٨٠ .
(٢) قصائدهم مبثوثة في جريدتي الثورة والجمهورية .
(٣) جريدة الجمهورية ٢/١٠/٩٨٠ .

ويشير الشاعر عبد الامير شلاش في توجهه إلى الجيش إلى معاني الفداء والحق والنصر ، وتقترن هذه المعاني بالمجد وبالشهداء الذين يضحون بانفسهم في سبيل الحق :

أيا جيش الفداء نذرت عمري ... ليوقد في الوقائع مايطيب
بك المجد اغتنى لما احتواه ... دم الشهداء مرتعه الخصيب
بك الحق الذي جبل الاماني ... ونور الحق يرميه المغيب
وفوق النصر كف أبي عدي ... يتممها المصائر والضروب (١)

وفي ابيات عبد الكريم راضي جعفر تقترن الشهادة بمعنى الفداء كما تتضمن الأبيات على استبسال الجند وعلى اندفاعهم في الفتح والنصر :

يتدافعون على الشهادة حسبهم ... ان تفتدي الارض الهوى الطرب
ها إنهم حملوا على كيد الفدا ... مستبسلين ... هواهم سرب
ياأيها الغيث الذي ملأ الدنا ... زهواً فندى رملها الذهب
ها أنت تفتح بالرجال ثغورنا ... فيؤمها أجدادنا النجب (٢)

ويرتبط الجيش في ابيات عبد الجبار العاشور بحب ابناء الامة كما يرتبط بالفتوحات والانتصارات المتلاحقة :

لك ياجيش في الضمائر حب ... قد حفظناه دافقا زخارا
ياسليل الفتوح كل مقام ... بك يعلو تجلة وانبهارا
تقطف النصر مثلما تقطف الزهر ... فيزداد في يديك ازدهارا

وكما يرتبط بالنصر الزهر فهو يرتبط بالموت الذي ينصب على الاعداء شواظي من نار :

وتصب اللظى كصبك للمو ... ت فيزداد حلكة ودمارا (٣)

ويحيي عبد الرزاق عبد الواحد جيش العراق وجنوده ، ويصفهم بالشموس المضيئة ، ويشير إلى أصنافهم من الطيارين والدروع ، وغيرهم ويقول :

(١) المرجع نفسه ٢٠/١٠/٩٨٠ .
(٢) المرجع نفسه ٦/١/٩٨١ .
(٣) جريدة الثورة ١٩٨٠ .

ياجنود العراق ياعـز أهلي ياشموساً على شموس تسـاق
يانسور الحديد أعـلام سعد ابداً جنـح نسرها خفـاق
ياجبال الحديد من الف عام وجبال الحديد فينا عتـاق (١)

وإلى الطيارين ايضا يشير الشاعر علي الحلي ، ويسميهم بالنسور المغاوير ، ويرى أنهم يطرون العدو نيازك ورجوما ويقصفونهم ناراً وسعيرا ويقول :

وعلى دربك النسور المغاوير تهادت ... ورفـت العليـاء
حاصبات نيازكـاً مـن جحيم ورجوماً تعرى بها الظلماء
ومـن القاصفات دبت سعيراً يورق الرمل والطريق المضاء (٢)

وهكذا يرتبط بالطيارين والطائرات الموت والجحيم والنيازك والسعير وفي قصيدة عبد الجبار العاشور يرتبط جيش الحاضر بمعارك الماضي وقادتها ، وبه يقترن النصر لأنه جيش الحق ، وهو نصر لأهله لكنه غصص للأعادى جحيم عليهم :

ياندماء اليرموك ياصوت سعد ياسماء الندى وغوث الحيارى
ألهـب الارض واستعر في حشاها ياجحيماً على العـدى موارا
انت جيش الله المعزز بالنصر تعلي العلا وتطـوي المـسارا
غصصاً تطعـم الاعادي وحباً تطعم الارض والنفوس وغارا

واذا ارتبط بالماضي وقادته ، فهو الآن مرتبط بقادة الحاضر :

جيش صدام يقلع الأوكارا ويهد البنا جدارا جـدارا (٣)

ويشير كمال عبدالله الحديثي إلى جيش العراق مظفراً مؤزراً وإلى مواقفه تجاه معارك الأمة العربية في مصر والشام وغيرها .

ومن هنا فإن الشاعر يعتبره باع الأمة وزهوها ، ويصف مواقفه في الوفاء والعطاء فيقول :

---

(١) مجلة آفاق عربية ص ١٦٣ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٤٧ .
(٣) جريدة الثورة ١٩٨٠ .

يامنبت الشرف الأصيل قد ازدهت فيك المرابع مصرها وشآمها
فلقد ضربت بكل ساعد ثائر وسمت برفعة بابل أهرامها
ياباع امتنا اذا ماصاولت يازهوها ماعادها اقدامها (١)

ويجرنا الحديث عن ارتباط الجيش بالقائد إلى القائد نفسه، فقد اندفع الشعراء اليه، يقفون من خلفه، فيؤيدون مواقفه، ويندفعون مع اندفاعه، ويصفون فعاله، ويثمنون بطولاته، ويربطون مابينه وبين جيشه وشعبه وأمته، فهذا الشاعر عادل جاسم البياتي يشير إلى ترفعه وإبائه، وإلى نصرته الضعفاء، وحنوه على الفقراء:

وترفعت فالحياة إباء واذا العرب سادة أشراف
لايفيد الضعيف عندك ضعف ليس بالشر تنتضى الأسياف
أو يضير الفقير فقر فليست لمغانيك فاقة أو كفاف (٢)

ويشير كمال عبدالله الحديثي في أبياته إلى كرمه، فيرى أنه البحر وإلى زهوه فيرى أنه الزهر، وإلى شجاعته فيرى أنه الليث فيقول:

أيقال عنك البحر في جيشانه أو ليس في جزر البحور ملامها
ايقال عنك الزهو في ريعانه أو ماتكبل زهرة أكمامها
ايقال عنك الليث في وثباته أو مايراض على العدا ضرغامها

ولهذه الصفات أحاطته الملايين بحبها، وفدته بقلوبها:

أيقال تفديك القلوب وأنت في كل القلوب خفوقها وقوامها (٣)

وهكذا يلتف الشعراء حول قائدهم، يحيونه بقصائدهم ويمنحونه الحب بعواطفهم، يجلون مواقفه ويثنون على عطفه وكرمه، ومن هنا وصفه عبد الجبار العاشور بأنه:

عربي لسانه عربي سيفه سل مرهفا بتارا
فهو شمس توهجت انوارا وهو دنيا تفتحت افكارا

(١) جريدة الجمهورية ٩٨١/١/٢٥.
(٢) المرجع نفسه ٩٨٠/٩/٢٦.
(٣) المرجع نفسه ٩٨١/١/٢٥.

وهو يبني يعلي ويلوي وينهي كل اعدائنا ويحمي الذمارا (١)

ويبدو ان الاشارة إلى عروبته كان ديدن أغلب الشعراء ، وقد أشار إلى هذه الناحية الشاعر محمد حنون شريف بقوله :

ليعيد تاريخ العروبة كلها في أسطر خطت بيومياته

وبقوله :

صدام يابطل العروبة وابنها والموقظ التاريخ من غفواته

وقوله :

ليعيدها عربية بسمائها وجذورها عربية كسماته (٢)

كما يشير إلى هذا المعنى الشاعر محمد جميل شلش ، ويرى أن صداماً بطل العروبة و العقيدة معاً :

فيا بطل العروبة عم مساء ويا بطل العقيدة عم صباحا

ثم يشير إلى تاريخ نضاله ، ويلمح إلى بعض صفاته ، كصموده وبسالته في مواقفه ، وإلى بعده عن الغرور والالقاب فيقول :

شققت الدرب لم تخش انفرادا بمسبعة ولم تخفض جناحا

ولم يغررك أنك محض سيف يصول بكف أمته نفاحا

ولم تبطرك ألقاب ضخام عن البانين فجرهم اكتداحا (٣)

أما شفيق الكمالي فيشير في احدى قصائده إلى حزم القائد وصبره ، كما يشير إلى اباته وشجاعته وجود نفسه فيقول :

رابط الجأش حازم لوذعيّ وصبور على البلايا مهول

وقفة الكبر والاباء حياة ماله في الوجود عنها ... بديل

سر بنا فالرجال حولك غاب أيها الليث والجواد الأصيل

---

(١) جريدة الثورة ١٩٨١.

(٢) جريدة الجمهورية : المصدر السابق.

(٣) مجلة آفاق عربية : ص ١٥٩.

وصدام في نظر الشاعر دليل الامة ومقيل عثراتها وقائدها الذي لاينثني عن عزمه :

أيمـا عثرة تعثرها التاريـخ في دربـه فأنت المقيـل
أيها الفارس المطـل عـلى الاكـوان ميزان شمسه لايميل (١)

ويؤكد الشاعر عبد المحسن عقراوي في احدى قصائده على معنيين رئيسين في شخص القائد ، وهما حب الجماهير له ،والتفافهم من حوله ، وتأييد مواقفه ، ويعلل هذا الحب بحب متعادل لهذه الجماهير . اما المعنى الأخر فهو اقتران هذه الزعامة بالعروبة ، وفي هذا يقول :

معك الجماهير التي اترعتها حبا فأسكرها هواك المفعم
حملت هواك رجالها ونساؤها وشيوخها حتى الألى لم يفطموا
حملوك حبا في عروق قلوبهم فجميعهم بك يارفيقي هوم
معك العقيدة في الدما مغروسة معك العروبة ثورة لاتهدم
معك الدم العربي ثاراً يغتلي والمجد أروعه الذي كتب الدم (٢)

والحق أن معاني الشعراء في وصف قائد الثورة تكاد تلتقي في ماتراه من صفات زعامته وقيادته وعروبته ومواقفه ، وهي صفات أحاط عنها اللثام ظروف حربنا مع ايران ، حيث ان الشعراء رأوا في شخص القائد مايحقق طموحات شعبه ،ويجسد أمانيه ورغباته وعلى الطرف الآخر تقف امامنا صورة العدو ، وهي صورة لم يختلف الشعراء في تحديد ملامحها التي تكمن في قصيدة كمال عبدالله في مجموعة من الصفات السلبية كالجهل والحقد والتخاذل والغباء :

ياجاهلا لج بالضرار وعاديا آب بانكسار
يصبح من حقده ويمسي ذهلان في قبضة الدوار (٣)

ويصف شفيق الكمالي العدو وقائده بالحمق والجهالة والخرف والسمه والمروق واللؤم والحقد والغباء والشعور بالنقص فيقول :

---

(١) المرجع نفسه ص ١٨٥ .
(٢) جريدة الثورة ١٩٨١.
(٣) مجلة آفاق عربية ص ١٧٧.

أحمق غره السكوت وما يدري بأن السكوت حال تحول
ماتريد الدمى صبرنا وقلنا خرف خائب وغر جهول
وصفحنا عن السفاهة على الصفح يجدي فتستفيق العقول
أيها الحاقد المزيف دين الله لارطبت ثراك الهطول
مارق احمق لئيم غبي ناقص حاقد زنيم هبيل (١)

ويتفق الشاعر لؤي عبد الامير الرماح في اضفاء صفة الحقد على العدو وقائده ، ويصفه بأنه شرير ويقول :

والحاقد اليوم مكلوم بحسرته ملعثم النطق مسلوب البراهين
يازارع الشر والاحقاد في وطني ستحصد اليوم لعنات الملايين (٢)

ويرسم الشاعر عبد الحسين موسى الخطيب صورة لما يراه يجري في ايران من استغلال للدين وتفشي الظلم واعدام الآمنين والحقد على الناس فيقول :

فالظلم والاعدام ليس شريعة والحقد يخرس هاتف الوجدان (٣)

ويرى الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد ان الخصم بعيد عن الفطنة متجاهل للحق ، وانه قد ركب رأسه وكشف عن حقده ، وفي هذا المعنى يقول :

ووالله لو كانت لدى الفرس فطنة لردك عنها أن اتاك اعتذارها
وان أسلمت بالحق للحق أمرها وردت جهالات الصغار كبارها
ولكنها صالت وجالت وأرعدت وكشر عن ظفر وناب سعارها (٤)

ويضفي الشاعر عبد الحسين موسى الخطيب بعض الصفات الرديئة على العدو ، من مثل الحقد والكراهية والطيش والطمع والصلف ونكث العهود والشر والاجرام والغدر بالجار واللؤم فيقول :

(١) المرجع نفسه ص١٨١ – ١٨٢.
(٢) جريدة الجمهورية ١٩٨٠/١٠/٧.
(٣) المرجع نفسه ١٩٨٠/١٠/٢٩.
(٤) جريدة الثورة ١٩٨١/١/٦.

ونسوا ماكان من أيامنا ... ولهيب الحقد والكره أزادوا
ركبوا الطيش إلى اطماعهم ... صلفا والنكث بالعهد اجادوا
أي دين يرتضي الاجرام والغد ... ربالجار ومن كاد يكاد
فعلى الشر انطوت نياتكم ... وبما يخزي دعتكم أن تنادوا
ياأصولا جبلت من طينة ... اغرقت باللؤم غطاها السواد (١)

ولابد من الاشارة إلى ان اسم بغداد والعراق قد تألق في قصائد شعرائنا، وهي ظاهرة واضحة ادت اليها معركتنا مع ايران فالشاعرة صابرة العزّي قصيدة بعنوان (بغداد) رسمت فيها صورة جميلة لعاصمة العراق التي لاتزال تزهو على رغم الحرب التي تخوضها ضد الاعداء، فهي :

بغداد ياألق البهاء وبسمة ... للصبح عادت من خلال سواد
يازينة البلدان يادار النهى ... ابداً وأنت قشيبة الأبراد (٢)

اما بغداد في قصيدة الدكتورة طلعت الرفاعي، فهي ،صرخة الثوار ، وكعبة الاحرار وقلعة العدل والحرية :

بغداد ياصرخة الثوار يطلقها ... من دير ياسين يوم الحشد مدفعه
بغداد ياكعبة الاحرار كم هزمت ... قلاعك الظلم لما سنل مطمعه(٣)

وبغداد والعراق صورة واحدة في قصائد الشعراء، لكنها صورة جميلة في قلوب الملايين من اهل العراق. وقد توجه كل الشعراء إلى هذه الصورة بالحب والهيام والشوق :

وطني احبك موجة التعب ... مرت علي وما أبقت سوى التعب
هذا العراق وراء الضلع أعرفه ... صمتاً وبوحاً كخمر الكأس والحبب

(١) المرجع نفسه والسنة نفسها.
(٢) جريدة الجمهورية ١٩٨٠ .
(٣) المرجع نفسه ٣/١٠/٩٨٠.

أهواك يافتنة الدنيا وزينتها ويافتونا يريني الماء في اللهب(١)

بهذه الابيات عبر الشاعر زكي الجابر عن هيامه وشوقه للوطن الحبيب اما الدكتورة عاتكة الخزرجي فقد أحبت نخيل العراق وأنهاره وهي تفتدي وطنها بالروح فتقول :

وطني العراق أحبه أو تبلغ الروح التراقي
اهوى النخيل على الضفا فيخضن دجلة والسواقي
اهوى العراق فديته بالروح والكلم البواقي(٢)

ومن عمان يحيى الشاعر سليمان المشيني أرض العراق ، ويتغنى بسهوله ونجاده ويبتهج بمفاتنه فيقول :

حي العراق وحي طيب أربضه طابت سهولاً وانجاداً واغوارا
مفاتن غنت الدنيا بروعتها كما تغني حماة الضاد سيدا(٣)

وتقف قصيدة الملحمة لعبد الرزاق عبد الواحد في قمة القصائد التي تغنت بالعراق، فقد ورد ذكره في اكثر من عشرين موضعا، وأبدى في كل موضع مشاعره الدافقة تجاه بلاده :

يعلم الله انني ياعراق الزهو أزهو عليك حدّ الدلال
غير أني والله أعطي حياتي دون جذع لنخلة فيك بالي (٤)

والحق أن مفاهيم عامة قد ظهرت من جديد مع هذه الحرب وايقظت معها الروح القومية ، وقد المحنا إلى بعضها من خلال بعض المعاني السابقة كمفهوم العروبة الذي ارتبط ارتباطا متينا بهذه المعركة ، وقد ألمح إلى هذه المسألة الشاعر الفلسطيني عبدالله مسعود بقوله :

---

(١) المرجع نفسه ١٩٨١/٥/٧.
(٢) المرجع نفسه ١٩٨١/٢/٢٥.
(٣) المرجع نفسه ١٩٨٠/١٢/٨.
(٤) جريدة الثورة ١٩٨١/٤/٨.

ارض العروبة يااير ان لو عطشت نسقي ثراها دماً حراونفديها
فأمة العرب مذ كانت مسالمة أو في بني الارض تعطي من يواليها (١)

على ان هناك مفهوماً آخر يدل على نضج المفاهيم السياسية، وقد أذكته من جديد حربنا مع ايران ، هذا المفهوم هو مفهوم الوحدة العربية الذي عبرعنه الشاعر محمد جميل شلش في احدى قصائده عن الحرب بقوله:

ايتها الوحدة يا هوانا
ياأملاً ينبض في دمانا
ياهمّ أهلينا من المحيط للخليج (٢)

ويبشر محمد عبد الجبار العاني بوحدة قريبة تحقق الآمال وتجسد الأماني ليجتمع العرب تحت علم واحد هو علم الوحدة فيقول :

ياقلب بشراك فالايام مقبلة وسوف تنجاب عنا هذه الأزم
شعب تفرق في أوطانه دولا لكنه بأمانيه .... سيتنظم
لابد من وحدة للعرب جامعة وفوقها علم مافوقه علم (٣)

ومن المهجر البعيد تهز الوحدة مشاعر الشاعر الياس قنصل فيعبر عن رجائه بقيامها، ليكون لامتنا بها الفوز، وترى ان الفرقة هي التي فتتت عضد الأمة، وان قيام الوحدة سيرفع هاماتنا، ويحقق لنا العزة والظفر:

رجاؤنا الوحدة الكبرى فان خلصت نياتنا فهناك الفوز والوطر
اذا اتحدنا أعدنا امما مجلجلة تجلو التعدي ولاتبقي ولاتذر

---

(١) المرجع نفسه والمتة نفسها.
(٢) المرجع نفسه ٣/١١/٩٨٠.
(٣) المرجع نفسه ٦/١١/٩٨٠.

اهـدافـنا في رحاب العز واحـدة وكلنا في مـدار البـذل متنـدر
لولا تفـرقنا دانت لهـمتنا دنيا إلى الشمم السمحاء تفتقر (١)

اما كمال عبدالله الحديثي فلا يحدد له انتماء معيناً ، وانما يرى ان كل ارض العروبة موطن له، ويجسد هـذا الانتماء بقوله:

انا من زيتون يـافا
انا من نخل العـراق
انا من تونس في عـرس قباب ومآذن
انا من طيبة ...من بصرى
من الفسطاط .من مأرب
من كل الشموس
انا من أرض النبوءات
ومن سفر الملاحم (٢)

---

(١) جريدة الثورة ١٩٨٠.
(٢) جريدة الجمهورية ١٩٨١/٥/٧.

ملاحظ فنية سريعة

تلك كانت الروافد المختلفة الممتدة عبر معاني شعر الحرب، وهي روافد تلتقي في مصب واحد، وتنتهي عند موضوع واحد هو موضوع شعر الحرب.

لقد استطاعت معركتنا مع ايران ان تفتق اذهان شعرائنا وتفتح أعينهم على العديد من المعاني التي كانت تغيب عن اذهانهم، غير انهم قد جروا وراء الاحداث العظام والامور الجسام، فعبروا عن عواطفهم الحارة ومشاعرهم النبيلة، وهزهم استشهاد الابطال في سوح معارك الشرف، كما هزت وجدانهم مواقف البطولة التي جسدت أماني شعبنا في استعادة حقوقنا المغصوبة.

غير ان هذا الجديد لم يقف عند حدود المعاني الجديدة التي الهمتها اياهم الحرب، وانما تعداه إلى تحقيق صور جديدة، فقد جسد خيال الشعراء عواطفهم ومشاعرهم بالصور الدافعة المتحركة، كما عبر الشعراء عن هذه الصور بلغة بسيطة بعيدة عن التقنية والتعقيد، كما افاد هؤلاء الشعراء من المفردات الشائعة ومن الصياغات التي تتردد بشكل عفوي على أفواه البسطاء، استجابة منهم للذوق العام.

وقد احتوت قصائد الشعراء في هذا الموضوع — موضوع الحرب على اسماء جديدة للأماكن والاعلام وغيرها.

ومن الظواهر البنائية في هذه القصائد ظاهرة التكرار سواء في الافعال — خصوصاً منها فعل الأمر — أو في الأسماء وخاصة أسماء الاعلام وأسماء المدن، أو في الحروف، وعلى الاخص حرف النداء.

كما وردت في هذه القصائد مفردات جديدة منها أسماء أدوات القتال أو المصطلحات العسكرية وأمثالها، مما لم تألفها لغة الشعر.

اما عن التجربة، فقد عبر العديد من الشعراء — وخصوصاً — منهم من

امتلاك قدرات فنية عاليـة وطاقات تعبيرية جيدة عن الموقف الواعي تجاه هذه المعركة ، ومن هنا امتلك العديد من هذه القصائد الصدق الفني والصدق الشعوري في التجربة .

ولست أحبذ الاطالة لأن العديد ممن كتبوا في هذا المجال قد المحوا إلى هذه المسائل، وخصوصاً المقالات المتابعة لعبد الجبار داود البصري في جريدة الثورة ، فهي تقدم توضيحاً جيداً للعديد من الظواهر الفنية التي حققها شعر هذه الحرب .

ومهما يكن من أمر هذا الشعر ، فإنه يصح القول بأن معركتنا هذه قد خدمته بما قدمت من مادة وهيأت من ظروف ووفرت من وسائل .

كما يمكن القول ايضاً بأن شعراءنا قد أسهموا في خدمة هذه المعركة اسهاماً فاعلاً يدل على وعي عميق لابعادها الوطنية واهدافها القومية .

مراجع البحث

تاريخ الادب العربي عمر فروخ بيروت ١٩٦٩ .

تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري. القاهرة ب . ت .

الجزائر المجاهدة : الرابطة الأدبية في النجف. النجف ١٩٦٠ .

الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي ، محمد سيد كيلاني القاهرة ٩٤٩ .

ديوان البحتري : مصر ١٩١١ .

ديوان محمود درويش : بيروت ١٩٧١ .

ديوان النابغة الشيباني : القاهرة ١٩٣٢ .

شرح الصولي لديوان ابي تمام . تحقيق خلف رشيد نعمان . ٢بغداد ١٩٧٨ .

شعر الحرب في ادب العرب : زكي المحاسني. القاهرة ١٩٦١ .

فتوح البلدان للبلاذي : ليدن ١٨٦٦ .

ماضي النجف وحاضرها : جعفر محبوبه . النجف ١٩٥٨ .

المفضليات : المفضل بن محمد الضبي. القاهرة ١٩٥٥ .

جريدة الجمهورية : بغداد أعداد سنتي ١٩٨٠ و ٩٨١ .

جريدة الثورة : بغداد اعداد سنتي ١٩٨٠ و ١٩٨١ .

مجلة آفاق عربية : بغداد العددان ١، ٢ : ١٩٨١ .